الإصلاح الديني المنشود

حلقاتُنا ومحاضنُنا إذا لم يدخلها التجديد والتفعيل فإنها تبقى تستصحب العجز وتخرّج المتشدّدين وأصحاب الرداءة ورموز التخلّف.آن أوان الابتعاد عن طرق التلقين وترديد الأقوال والآراء كأنها غاية في ذاتها.بل حتى تعليم كتاب الله تعالى يجب أن يكون تعليما لا مجرّد تحفيظ بلا فهم ولا وعي ، والحديث يقوا " خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه " فنصّ على العلم لا الحفظ.

الحلّ في بثّ المعرفة والثقافة والرغبة في التفكير والتعلّم الواسع وحسن تسيير الحياة . الحلّ في الاستماع إلى الطلبة وإعطائهم الكلمة وحثّهم على إبداء الرأي والاعتراض وقول " لا " وطلب الدليل المقنع ، أي تسليحهم بالشجاعة الأدبية وتنشئة صفات الشخصية القوية فيهم.

الحلّ في خلق أجواء الحوار والنقاش والاحتكام إلى الحجج والبراهين واحترام الرأي المخالف وردّه بالدليل لا بالإقصاء أو الشتم ، الحلّ في النظر إلى الاحترام المتبادل على أنه قيمة إسلامية وإنسانية محورية لا يمكن تجاوزها إذا أردنا العيش المشترك وانتشار الدعوة إلى الله في أرجاء الأرض.

من هنا يبدأ الانعتاق من مشكلة العنف الذي يبدأ لفظيا وينتهي بحمل السلاح في وجه المخالفين.

مللْنا العبودية للرجال وأقوالهم وطأطأة الرؤوس والتسليم بلا تفكير والتهيّب والذوبان في المجموعة ، نريد تنمية إثبات الذات في الجيل الناشئ مع الاقدام والفضول والشكّ المنهجي.

يجب على المربّين و " الشيوخ " أن يقولوا لهم إن لكلّ زمان تحدياته ووسائله وأساليبه ، واستنساخ التجارب التاريخية لتطبيقها على الواقع الجديد حماقة يتنزّه عنها الوحي الإلهي ، وإنما تظهر براعة طالب العلم والعالم والداعية حين يفقه تنزيل قيم الوحي وأحكام القرآن والسنة على الواقع المتجدد لإصلاحه وترشيده باعتماد الوسائل المتاحة والطرق الجديدة ، وهذا يحتاج إلى إعمال العقل بجدّ وهمّة .

نريد أن تكون نصوص القرآن والسنة ومقاصد الاسلام وقيمه حاضرة في تربية وتوجيه المتعلمين على جميع المستويات لكن مع الحرص الشديد على بقائهم متحرّرين من ربقة الأقوال البشرية ، أحرارا في التفكير والنظر وإبداء الرأي – كما يحثّ الدين نفسه – حتى لا يتحوّلوا إلى مشروع مناضلين في حزب منغلق أو مريدين في زاوية تدور حول الشيخ وتعظيمه ونثر البخور حوله والتسليم له بلا نقاش ، حيث لا يعدو الاسلام والقرآن والسنة هنا أن يكون مجرد ذريعة لإبقائهم عبيدا للحزب والزاوية والزعيم والشيخ.

الحرية حين تدخل المدارس والحلقات والمحاضن التربوية لا تأتي إلا بخير ، أعلمُ أن العبيد لا يطيقونها ، نقول الحرية فيفهمونها التمرّد على الله والمجون والتسيّب لأن تربيتهم المنغلقة أورثتهم أمراضا نفسية خطيرة وجعلتهم لا يبصرون من الكأس إلا نصفها الفارغ ، لذلك نرى كيف يتناولون آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية تناولا سلبيا حين ينزعون منه بُعده الإنساني الواضح الجليّ الجميل الذي يجعل أفئدة الناس تهوي إلى دين الله .

وغني عن البيان أن كل ما سبق محكوم بالضوابط الشرعية والأخلاق الإيمانية في إطار المرجعية الإسلامية الثابتة المحتكمة إلى كتاب الله وسنة رسوله بعيدا عن خرق الإجماع المتيقن بمزاعم الاجتهاد والتجديد وتأليه العقل البشري والاحتكام إلى الفكر الغربي.

لا نقدم بين الله ورسوله ، فكلّ ما في القرآن والسنة هو الحق المبين الذي ليس بعده إلا الضلال، لا نلغي تراثنا و لا نتجاوزه وإنما نمحّص ما يحتاج إلى تمحيص ونراجع ونأخذ ونترك ، وهذه مهمة المختصين من مفسرين ومحدّثين وفقهاء ومفكرين مسلحين بمعارف و وسائل العصر بالإضافة إلى البضاعة العلمية الأصيلة الراسخة ،وليست مهمة من يزعمون أنهم " عقلانيون " و "تنويريون" وهم يتحركون خارج الإسلام بل يعادونه في كثير من الأحيان ولا يهدف سعيُهم إلا إلى عرقلة مسيرته وإفراغه من محتواه الرباني وفاعليته الاجتماعية، أمّا ما يأتي بالخير كله فهو التجديد والاجتهاد من داخل البناء المعرفي الإسلامي ذاته.